Tsaqofiya : Jurnal Pendidikan Bahasa dan Sastra Arab
Vol. 4 No. 2 Juli 2022, 322-337
P-ISSN : 2685-7022, E-ISSN : 2685-7103
DOI: 10.21154/tsaqofiya.v4i2.144

المدارس النحوية : البصرة والكوفة نموذجا (دراسة تحليلية فيما بينهما من اختلافات)

Ahmad Zubaidi

Institut Agama Islam Negeri Ponorogo, Indonesia
Email : zubaidiahmad716@gmail.com

ملخص

بعد ظهور الإسلام وانتشاره ودخول الناس –من الأعاجم – فيه بدأ ظهور المولدين الذين لا يستطيع ضبط لسانهم بالفصحى فبدأ ظهور اللحن بينهم. ثم نشأ عمل وضع علم النحو استجابة لظهور اللحن في العربية بدأه في ذلك أبو الأسود الدؤلي. واستمر اهتمام العلماء بعلم النحو فنشأ ما يسمي بالمدارس النحوية – بما فيها من الاختلافات – ومنها مدرستا البصرة والكوفة اللتان تختلفان في مسائل نحوية كثيرة. والمؤسس الحقيقي لمدرسة البصرة هو الإمام الخليل بن أحمد الفراهيدي، أما المؤسس الحقيقي لمدرسة الكوفة هو أبو الحسن على بن حمزة الكسائي. تميّز مذهب البصرة بالحزم الصارم والتشدد الزائد في قبول الشعر المروي للشواهد النحوية والقدرة الفائقة على الاستدلال بالبراهين العقلية والأقيسة المنطقية والعلل الفلسفية، أما مذهب الكوفة فكان أكثر رواية للشعر من البصريين، فكان مذهبهم بذلك أسمح وأوسع وأيسر وأسهل.

الكلمات المفتاحية : *اللحن، المدارس النحوية، مذهب البصرة، مذهب الكوفة*

Abstrak

Setelah Islam lahir dan menyebar ke wilayah non Arab, mulailah terjadi fenomena 'Lahn' di kalangan muslim non Arab. Merespon hal tersebut, Abul Aswad ad-Duali memelopori penulisan kaidah nahwu. Lebih lanjut, hal tersebut berkembang sehingga muncul kelompok ahli nahwu yang tergabung dalam 'Madrasah Bashrah' dan 'Madrasah Kufah' yang keduanya berbeda pandangan dalam banyak masalah nahwu. Pendiri 'Madrasah Bashrah' adalah imam Khalil bin Ahmad al-Farahidy sementara 'Madrasah Kufah' dipelopori – menurut pendapat terkuat – imam al-Kissaiy. Ciri utama 'Madrasah Bashrah' sangat ketat dan selektif dalam menerima syi'ir Arab serta kemampuan luar biasa dalam berargumen menggunakan logika, analogi, dan prinsip-prinsip filsafat. Sementara

'Madrasah Kufah' terkenal dengan kelonggaran, keluwesan dan toleransi dalam menerima sya'ir Arab sebagai hujjah dalam masalah nahwu.
Kata Kunci: *Lahn, aliran tata bahasa, mazhab Basrah, mazhab Kufah*

المقدمة

كان العرب في جاهليتهم يقيمون في شبه الجزيرة العربية، لا يختلطون بالأجانب إلا لمما، وقد أدى ذلك إلى فصاحة لهجاتهم وقوة بيانهم وابتعادهم عن اللحن والتحريف. ولقد كانت "قريش" في وضع كريم يجعل منها سيدة لقبائل العرب الأخرى فهي التي تستأثر بخدمة البيت الحرام ويحج إليها العرب كل عام لأغراض اقتصادية كالتجارة وتبادل السلع وآخر كشهود مجامع الخطابة والشعر في أسواق عكاذ ومجنة وذي المجاز .تلك الجامع التي كانت ملتقى للشعراء والخطباء من جميع أنحاء الجزيرة العربية للتفاخر بالأنساب والتباري في الخطابة والتهاجي بالشعر والاحتكام في كل ذلك إلى النابهين من الشعراء والخطباء ليحكموا لهم أو عليهم . وقد اشتهر من هؤلاء الحكام النابغة الذبياني الذي كان حكمه لا يرد. وعندما أشرقت شمس الإسلام على الجزيرة العربية، ودخل الناس في دين الله أفواجا، اضطر العرب إلى الإنتشار في الأرض والاتصال بالناس والاختلاط بغيرهم من الأعاجم في سائر الأمصار المفتوحة.

فبهذا نشأت ناشئة جديدة من المولدين لا تستطيع ضبط لسانها، ومن هنا أخذت سلائق العرب تفسد وطبيعتهم تنحرف ، فظهر اللحن ، ثمّ أخذ يستشرى ويتسع حتى أزعج الغيوريين على الفصحى وأقلق نفوسهم.[١]

[١]البيطار، عاصم بهجت وغيره ، ***شرح ابن عقيل لألفية بن مالك*** ،(الرياض : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤٠٨ه) ص، ١٣. وترد لفظ (اللحن) في اللغة للدلالة على معان عدّة : ١) الغناء وترجيع الصوت، ٢) التورية والرمز، فهو أن تريد الشيء وتورّي عنه أو ترمز إليه بكلام آخر، ٣) اللهجة الخاصة، ٤) الفطنة الذكاء، ٥) معنى القول وفحواه، ٦) الخطأ في اللغة . ولعل هذا المعنى الأخيرللحن وهو الخطأ في اللغة قد ظهر متأخرا عن غيره من المعاني الأخرى حيث لم تظهر الحاجة إليه إلا بعد أن اختلط العرب بغيرهم من الأعاجم وتنبه العرب إلي شيوع الخطأ في لغتهم العربية، حيث يقول يوهان فك " وأغلب الظن أنه – أي اللحن – استعمل لأول مرة بهذا المعنى عندما تنبه العرب – بعد اختلاطهم بالأعاجم – إلى فرق بين التعبيرالصحيح والتعبير الملحون ". انظر مفصلا في كتاب النحو العربي: نشأته تطوره مدارسه ورجاله " صلاح رؤا ي ، (القاهرة : دار غريب، بدون سنة)، ١١

ومما نقل في هذه الظاهرة أنه قد بدأ ظهور اللحن في عهد رسول الله ص-م فقد روي أن رجلا لحن بحضرته فقال لمن حوله : "أرشدوا أخاكم فقد ضلّ "[٢] وكان معظم هذا اللحن على ألسنة الطارئين من الموالى والمتعرّبين كسلمان الفارسي الذي كان يرتضح لكنة فارسية، وبلال مولى أبى بكر الذي كان يرتضح لكنة حبشية وصهيب الذي كان يرتضح لكنة رومية .

كما حدث أن كاتب أبي موسى الأشعري كتب عنه كتابا إلى عمر بن الخطاب يقول فيه : "من أبو موسى الأشعري الخ ...." فلما قرأه عمر رضي الله عنه أرسل إلى أبى موسى: " أن قنّع كاتبك سوطا". ومرّ يوما على قوم يتعلمون رمي السهام فلم يعجبه رميهم فأنّبهم فقالوا : " إنّا قوم متعلّمين". فأفزعه ذلك وقال: "والله لخطؤكم في لسانكم أشد عليّ من خطئكم في رميكم!".

ولكن هذا اللحن كان قليلا أيام الخلفاء الراشدين – كما كثر فيما بعد واتسعت دائرته بسبب مخالطة الأعاجم والإصهار إليهم واتساع الفتوح الإسلامية.[٣]

أسباب وضع علم النحو وأول واضعه.

نظرا إلى ما وقع من ظاهرات الحياة الاجتماعية – كما هو مذكور سابقا -، خاصة فيما يتعلق بنشوء الألحان في اللغة العربية لدى العرب وغيرهم، فمعقول أن منهم من حاول ايجاد الدواء لهذا المرض اللغوي. أو بعبارة أخرى أن هذه الظاهرة سببت إلى نشوء المحاولة لإبقاء اللغة العربية على أصالتها وسليقتها.

ذكر الأستاذ شوقي ضيف بواعث لوضع النحو :

١. باعث دينيّ: هذا الباعث يرجع إلي الحرص الشديد على أداء نصوص الذكر الحكيم أداء فصيحا سليما إلى حدود السلامة والفصاحة، وخاصة بعد أن أخذ اللحن يشيع على الألسنة. هنا مثال على وقوع اللحن في تلاوة القرآن، ما يروى عن الحجاج من أنه سأل يحيي بن يعمر هل يلحن في بعض نطقه؟ وسؤاله ذاته يدل على ما استقرّ في نفسه من أن اللحن أصبح بلاء عاما، وصارحه يحي بأنه يلحن في حرف من القرآن الكريم

[٢] الفضلي، عبد الهادي ، ***مراكز الدراسات النحوية***، (الزرقاء ، الأردن : مكتبة المنار، ١٩٨٦) ص ٦،

[٣] عاصم نهجت وغيره، ص ١٤

إذ كان يقرأ قوله عز وجلّ : (قل إن كان آبائكم وأبنائكم إلى قوله تعالى : (أحبَّ) بضم أحب (أحبُّ) والوجه أن تقرأ بالنصب خبرا لكان.

٢. باعث قوميّ عربيّ: هذا الباعث يرجع إلى أن العرب يعتزون بلغتهم اعتزازا شديدا، وهو اعتزاز جعلهم يخشون عليها من الفساد حين امتزجوا بالأعاجم، ومما جعلهم يحرصون على رسم أوضاعها خوفا عليها من الفناء والذوبان في اللغات الأعجمية.

٣. باعث اجتماعيّ: هذا الباعث يرجع إلى أن الشعوب المستعربة أحست الحاجة الشديدة إلى من يرسم لها أوضاع العربية في إعرابها وتصريفها حتى تمثلها تمثيلا مستقيما، وتتقن النطق بأساليبها نطقا سليما.

٤. رقي العقل العربي ونمو طاقته الذهنية نموّا أعدّه للنهوض برصد الظواهر اللغوية وتسجيل الرسوم النحوية تسجيلا تطرد فيه القواعد وتنظيم الأقيسة انتظاما يهيّء لنشوء علم النحو ووضع قوانينيه الجامعة المشتقة من الاستقصاء الدقيق للعبارات والتراكيب الفصيحة ومن المعرفة التامة بخواصها وأوضاعها الإعرابية.[٤]

ذكر ابن الأثير في المثل السائر - وهي قصة تساق لمعرفة السبب المباشر في وضع النحو العربي – أن أبا الأسود الدؤلي دخل على ابنته بالبصرة فقالت له :" يا أبت : ما أشدّ الحرّ – فقال لها : شهر ناجر فقالت : إنما أخبرتك ولم أسألك . فأتى عليّا كرم الله وجهه فقال له: "ذهبت لغة العرب – ويوشك إن تطاول عليها الزمن أن تضمحلّ، فقال له عليّ: وما ذاك ؟ فأخبره الخبر فقال : هلمّ صحيفةً . ثمّ أملى عليه : (الكلام لا يخرج عن اسم و فعل وحرف)

وقد رويت قصة أخرى في هذا المجال مشابهة وهي أن أبا الأسود الدؤلي سمع ابنته تلحن إذ قالت له: "ما أحسنُ السماءِ، فقال لها : نجومها فقالت: لم أرد أيّ شيء أحسن فيها- إنما أتعجّب من حسنها ! فقال لها أبوها : قولى ما أحسنَ السماءَ! ثم دفعه ذلك إلى التفكير في وضع قواعد النحو – والروايتان عندنا صحيحتان ولا تعارض بينهما ،فقد تكرّر المسألة في وقتين متقاربين أو متباعدين[٥]

[٤] شوقي ضيف، *المدارس النحوية*،(القاهرة : دار المعارف، ١٩٦٩) ص، ١٢-١٣

[٥] عاصم بهجت وأصحابه، ص ١٥

أما عن أول واضع علم النحو فاختلف الناس إلى أقوال، منهم من يقول أبو الأسود الدؤلي، وقيل نصر بن عاصم، وقيل عبد الرحمن بن هرمز، وأكثر الناس على أنه أبو الأسود الدؤلي.[٦] هذا الرأي أيده من المؤرخين السابقين ابن قتيبة (ت ٢٧٢)، والمبرّد (ت ٢٨٥) والامام السيرافي (ت ٣٦٨)، والراغب الأصبهاني (ت ٥٠٢) و الإمام السيوطي (ت ٩١١). ومن النحاة المعاصرين الأستاذ كمال إبراهيم، ومصطفى السقا و علي مجدي ناصف.[٧] اختار علي بن أبي طالب أبا الأسود الدؤلي لمهمة محاربة و معالجة ظاهرة اللحن لأنه كان رجل أهل البصرة وكان علوي الرأي ولأنه من أكمل الرجال رأيا وأسدّهم عقلا.[٨]

قام أبو الأسود الدؤلي بضبط المصحف ووضع نقطا وعلامات تدل على الحركات المختلفة. ثم توالت حركة التأليف بعد ذلك .

نشأة المذهب البصري والسمات المميّزة له

سبق علماء البصرة بالعراق إلى تدوين مسائل النحو، وذلك بعد طول اتصال بعرب البادية للأخذ عنهم، وقد كانت البصرة قريبة من بادية نجد، وعلى ثلاثة فراسخ من المربد الذي آل أمره إلى سوق أدبي للشعر والمناظرة. وكان النحويون يقصدونه لتلقي الشعر من أفواه العرب. وكان يهاجر إلى البصرة كثير من علماء المدن المجاورة ليتعلموا النحو وينقلواه إلى بلادهم. فهذه العوامل ساعدت البصريين على تدوين قواعد النحو واللغة قبل غيرهم بنحو قرن من الزمان.[٩]

كان العمل الذي ابتدأه أبو الأسود الدؤلي، عاونه في ذلك بعض تلاميذه الذين يعدّون بحق من أعلام المذهب البصري، ومن أشهرهم نصر بن عاصم (ت ٨٩ه) ، وعبد الرحمن بن هرمز (ت ١١٧ه)، و يحي بن يعمر (ت ١٣٩ه). وكان لهؤلاء الرواد عظيم الأثر فيمن خلفهم من أمثال عيسي بن يعمر الثقفي (ت ١٤٩ ه) وأبي عمرو بن العلاء (ت ١٤٥ه) و أبى الخطاب الأخفش الأكبر (ت ١٧٧ه) ويونس بن الحبيب (ت ١٨٢ه) وغيرهم من نحاة البصرة.

---

[٦] شوقي ضيف ، ص ١٣

[٧] الفضلي ، ٩-١٤

[٨] انظر خالصين، ***نشأة النحو العربي، في دورية اللغة والفن***، (السنة الواحدة والثلاثين، العدد الأول ، فبراير ٢٠٠٣)

[٩] عاصم بهجت وأصحابه، ص ١٦

أما المؤسس الحقيقي لمذهب البصريين فهو الإمام العبقري الخليل بن أحمد الفراهيدي، المتوفى سنة ١٧٤ هـ، وذلك لما وهبه الله من ذكاء خارق، وملكة مبتكرة، وصبر نادر، ومن ثمّ ساعدته هذه المواهب على معرفة أسرار العربية وإدراك خصائصها وفهم نظامها وتركيب أساليبها.[١٠] أذكر في هذه المقالة بعض أسماء النحاة المشهورين فقط -بشيء من التفصيل- من المدرستين البصرة والكوفة لما لهم من الجهود الجبارة في الانتاج العلمي القيم في هذا الفن ولما له من آثار للغويين القدماء وأصبح انتاجهم العلمي مواضع دراسة في الماضى والحاضر.

أ) أشهر أئمة المذهب البصري

١. الخليل بن أحمد: هو الخليل بن أحمد الفراهيدي الأزدي البصري (ولد سنة ١٠٠ هـ وتوفّي سنة ١٧٥ هـ على القول الراجح). وهو أحد أئمة البصرة الذين أسسوا قواعد العربية، وشيدوا صرحها الشامخ بفضل ذكائه النادر وجهوده الموفّقة. ومن جهوده العلمية أنه وضع علم العروض الذي حدد فيه أوزان الشعر العربي وسماها بحورا، وكان تعداد البحور التي ذكرها خمسة عشر بحرا، ثم جاء الأخفش فستدرك واحدا آخر، فأصبح ستتة عشر بحرا. ووضع كذلك أساس المعاجم العربية الذي سماه " معجم العين"، وله أيضا جهود جبارة في علم النحو، فهو الذي أرسى قواعده وعمّق أصوله. وبسط مباحثه مثل مباحث العامل والسماع والقياس والتعليل.

٢. سيبويه : عمرو بن عثمان بن قنبر مولى بني الحارث بن كعب، اشتهر بلقبه سيبويه، وهو لقب فارسي معناه رائحة التفاح. ولعل ذلك يرجع إلى أنه كان طيب الرائحة تفوح منه رائحة التفاح.[١١] قال الأزهري :" كان سيبويه علامة، حسن التصنيف، جالس الخليل وأخذ عنه، وما علمت أحدا سمع منه كتابه هذا، لأنه احتضر، وقد نظرت في كتابه، فرأيتُ فيه علما جمّا".[١٢] أما جهوده العلمية فيكفي سيبويه فخرا في أنه ترك لنا كتابه الذي كان ولا يزال المرجع الأول الذي يهتدى به الباحثون في علوم النحو

---

[١٠] السنجرجى، مصطفى عبد العزيز، **المذاهب النحوية في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة**، (جدة : مكتبة الفيصلية، دون سنة) ص ١٥-١٦

[١١] المرجع نفسه ، ص ٢٦

[١٢] خضر موسى محمد محمود، ***النحو والنحاة المدارس والخصائص***، (بيروت : عالم الكتب، ٢٠٠٣) ط ١ ص، ٤٣

والصرف واللغة لما حواه من الأساليب والقواعد والشواهد والمصطلحات والعلل والأقيسة والآراء التي فطن إليها بنفسه أو رواها عن أئمة عصره، وفي ذلك أكبر دليل على ما بذله هذا الإمام من جهود جبارة وعناية فائقة في سبيل الحفاظ على اللغة العربية وسلامتها من الخطأ[١٣]

٣. المبرد : هو أبو العباس محمد بن يزيد الأزدي البصري، ولد بالبصرة سنة ٢١٠ ه على الراجح. فعكف منذ صغره على الدراسة وقصد أئمة عصره، ومن أشهرهم أبو عمر الجرمي، وأبو عثمان المازني، وأبو حاتم السجستاني، ونبغ في النحو والصرف، ويقال إن أستاذه أبا عثمان المازنى هو الذي لقّبه بالمبرد – بكسر الراء – لإعجابه بحسن إجابته، وفهمه، وجودة معالجته لمسائل النحو وعلله.

ومن صفاته الحميدة أنه كان غزير العلم والأدب، كثير الحفظ، حسن الاشارة، فصيح اللسان، بارع البيان، كريم العشرة، حلو المخاطبة، جيد الخط، حاضر البديهة، عذب المنطق، ذا قدرة فائقة على الشرح والبيان. ولذلك نبغ على يديه كثير من أئمة اللغة مثل نفطويه إبراهيم بن محمد، وأبي علي الصفار، والأخفش الصغير وغيرهم.

من جهوده العلمية : له مؤلفات، مثل كتاب الكامل (في الأدب)، والمقتضب (في النحو)، والاشتقاق، وإعراب القرآن، والتصريف، والروضة، وشرح شواهد سيبويه، والمدخل إلى سيبويه، والمذكر والمؤنث، ومعانى القرآن، والمقصور والممدود، وإلى غير ذلك من الكتب التي نجدها منسوبة إليه.[١٤]

ب) خصائص وميزات مذهب البصريين

هناك بعض الخصائص والميزات لمذهب البصريين نعرف بها الفرق بينهم وبين مذهب الكوفيين، منها :

[١٣] السنجرجى، ص ٢٩

[١٤] السنجرجى، ص ٣٤-٣٥

١. الحزم الصارم والتشدد الزائد في قبول الشعر المروي وعدم اعترافهم إلا بالقليل من القبائل العربية الموثوق بها ، وقلما يعتمدون على خبر الآحاد .[١٥]

ومما يعرف من تشدد البصريين ما جاء في ترجمة أبى عمرو بن العلاء، فقد روي أنه سأل أبا خيرة ، وهو من الأعراب عن قول العرب: " استأصل الله عرقاتَهنّ " فنصب أبو خيرة التاء من " عرقاتهن " فقال له أبو عمرو : هيهات أبا خيرة ، لأن جلدك .[١٦]

٢. الثقة التامة بقواعدهم والاعتداد بآرائهم وتخطئتهم للروايات التي تنافي مذهبهم مهما يكن مصدرها.

٣. تأوّل كل ما يخالف مذهبهم، ولو كان عربيا فصيحا وتكلف العنت في ذلك ، فإذا عجزوا عن التأويل حكموا بشذوذه .[١٧]

٤. القدرة الفائقة على الاستدلال بالبراهين العقلية والأقيسة المنطقية والعلل الفلسفية. [١٨]

نشأة المذهب الكوفي والسمات المميزة

جاءت المدرسة الكوفية متأخرة عن مدرسة البصرة بنحو قرن من الزمان، بعد أن تأصلت القواعد، ورسخت المعايير عند البصريين. فاتخذوا لأنفسهم مذهبا خاصا يضاهي المذهب البصري، وينافسه. وقد أخذوا على البصريين أن قواعدهم ضيقة بسبب استقرائهم الناقص، وترك لغات بعض القبائل واهمال القياس.

كان الكوفيون أكثر رواية للشعر من البصريين، لذا جعلوا كل ما ورد عن العرب اماما لهم لا يخطّئونه ولا يعتسفون في تأويله ويجيزون القياس عليه. فكان مذهبهم بذلك أسمح وأوسع وأيسر وأسهل. ومن هنا نشأ الخلاف بين المذهبين في كثير من الفروع. وإذا كانت الكوفة تعتمد على سوق الكناسة الذي يقابل المِربَد عند البصريين وتلتقي فيه بالشعراء والخطباء والعلماء إلا أنها لبعدها عن البادية قلّ نزوح العرب إليها. وبخاصة من صحت

---

[١٥] عاصم بهجت وأصحابه، ١٧

[١٦] السامرائي، إبراهيم ، ***المدارس النحوية سطورة وواقع***، (عمان : دار الفكر للنشر والتوزيع : ١٩٨٧) ص ١٨

[١٧] عاصم بهجت وأصحابه، ص ١٨

[١٨] السنجرجي، ص ١٨

لهجاتهم ولم يكن للكناسة ما للمربد من شهرة واسعة وأثر بعيد. ومن هنا انتشر المذهب البصري انتشارا هائلا واتسع مداه في كثير من اللهجات بعكس المذهب الكوفي.[١٩]

ذكرت بعض الروايات أن هناك من الأئمة من سبقوا الكسائي تأسيس هذا المذهب، لكن الراجح أن المؤسس الحقيقي لهذا الامذهب هو أبو الحسن على بن حمزة الكسائي.[٢٠]وساعده في ذلك تلميذه الفرّاء. فهما اللذان رسما صورة هذا النخو ووضعا أصوله وأسسه، وأعداه بحذقهما وفطنتهما لتكون له خواصه التي يستقل بها عن النحو البصري، مرتبين لمقدّماته، ومدققين في قواعده ومتخذين له الأسباب التي ترفع بنيانه.[٢١]

أما أئمة المذهب الكوفي فعلى رأسهم أبو جعفر الرؤاسي وتلمذاه الكسائي والفراء. ثم هشام بن معاوية الضرير، وابن السكيت، وابن الأعرابي، والطوال، وثعلب، وابن كيسان، وابن سعدان، وابن الأنباري ونفطويه وغيرهم .[٢٢]

أ) أشهر أئمة الكوفة

١. الكسائي: على بن حمزة الكسائي أبو الحسن الأسدي. احد الأئمة القراء من أهل الكوفة، استوطن بغداد، كان الكسائي من أهل باخشاء ودخل الكوفة وهو غلام. وكان يعلم بها الرشيد ثم الأمين من بعده. صنّف الكسائي كتبا كثيرة : معانى القرآن، المختصر في النهحو، القراءات، العدد، اختلاف العدد، مقطوع القران وموصوله، النوادر الكبير، النوادر الأصغر، الهجاء، والمصادر. وزاد السيوطي "الحروف وأشعار المعابات". وأضاف ياقوت " كتاب الهاءات المكنّى بها القرآن". [٢٣]

٢. الفراء : يحي بن زياد بن عبدالله بن منظور الديلمي أبو زكريا الفراء (ت ٢٠٧ ه). كان من أبرع الكوفيين وأعلمهم. قال قطرب: "دخل الفراء على الرشيد، فتكلم بكلام فلحن فيه مرات، فقال جعفر بن يحي: إنه لحن يا أمير المؤمنين، فقال الرشيد للفراء أتلحن ! فقال الفراء: يا أمير المؤمنين، إن طباع أهل البدو الإعراب، وطباع أهل

---

[١٩]عاصم بهجت ، ص ١٨

[٢٠]السنجرجي، ص ٣٨

[٢١]شوقي ضيف، ص ١٥٤

[٢٢]عاصم بهجت وأصحابه، ص ١٨ وانظر كذلك خضر موسى محمد حمود، ص ٧٤ – ١٠٧.

[٢٣]خضر موسى محمد حمود، ص ٧٤

الحضر اللحن، فإذا تحفظت لم ألحن، وإذا رجعت إلى الطبع لحنت، فاستحسن الرشيد قوله. وللفراء تصانيف منها : معانى القرآن، البهي، اللغات، المصادر في القرآن، الجمع والتثنية في القرآن، الوقف والابتداء غيرها.[٢٤]

ب) خصائص وميزات مذهب الكوفيين .

ويمكن تلخيص السمات الغالبة على الكوفيين فيما يلي :

١. العناية بكل ما يسمعون من شعر عربيّ واحترام كل ما ورد عن العرب وعدم رفض شيء منه.
٢. الاحتجاج بالشواهد ، حتى ولو كان الشاهد واحدا أو مجهول الأصل، وبناء القواعد على ذلك وقد قيل : إن الكسائي كان يسمع الشاذ الذي لا يجوز إلا في الضرورة فيجعله أصلا ويقيس عليه.
٣. التسامح في كل ما يصلهم من نصوص وعدم الحكم علي شيء بالضرورة ، وعدم نزوعهم إلى التأويل أو الاعتساف فكان مذهبهم بذلك واسعا مفتوحا.[٢٥]
٤. إنهم أقل استعمالا لأساليب علم الكلام من حيث الاعتداد بالعقل والاستناد إلى البراهين المنطقية والعلل النفسية.[٢٦]

موازنة خاطفة بين المذهبين

كان البصريون أكثر استنباطا وأوثق رواية من الكوفيين. حتى لقد كان الكوفيون يثقون في روايتهم ويعملون بها. ولم يحدث العكس، ثم كان البصريون هم السابقين في وضع القواعد وتقرير المسائل . وقد تألق منهم علماء كانوا أعلاما في اللغة والنحو، فكانت شخصيتهم عاملَ جذب لهذا المذهب وسبيلا إلى شهرته وذيوعه. وكان الكوفيون أقل تدقيقا وأضعف رواية وأكثر تساهلا مما جعل مذهبهم واسعا مفتوحا، كما ابتعدوا عن التكلف والتضييق الذي اشتهر به البصريون.

---

[٢٤] المصدر نفسه، ص ١٠٠-١٠١

[٢٥] عاصم بهجت وأصحابه ، ص ١٨

[٢٦] السنجرجي ، ص ٤١

ولسنا نزكي مذهبا على مذهب تزكية مطلقة ولكن بحسبنا أن نقف عند قوة الدليل لا متحيزين ولا متعصبين، وإن كان في النهاية مذهب البصريين أوثق ومذهب الكوفيين أيسر وأوسع.

وقد تصدّى العلماء لوضع كتب في قضية الخلاف بين المذهبين منهم: أبو البقاء العكبري المتوفّى سنة ٦٦٦ ه الذي وضع كتابا في هذا الموضوع باسم "التبيين في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين" كما ألف العلامة الجليل شأبو البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري النحوي المتوفى سنة ٥٧٧ ه كتابا أسماه "الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين" ذكر فيه مائة وإحدى وعشرين مسألة فيها خلاف بين المذهبين.

هذا ونشير هنا أن الخلاف بين هاتين المدرستين واسعا، وقد حدثت بينهما مناظرات ومناقشات بدأت هادئة بين الخليل والرؤاسي ثم اشتدت بين سيبويه والكسائي ومن جاء بعدهما. واستمرّت إلى أواخر القرن الثالث الهجري، ثم خفّت حدة الجدل والخصومة بعد هذا. حيث جاء من عرض المذهبين ونقدهما واختار منهما مذهبا خاصا وعلى رأس هؤلاء العلامة أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري الكوفي المتوفّى سنة ٢٩٦ ه ، فقد قرّب بين المذهبين ومزّج بينهما وإن كان إلى البصريين أميل. [٢٧]وما يلي بعض أمثلة الخلاف بين البصريين والكوفيين في المسائل النحوية.

من مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين :

١. (لولا) ترفع الاسم بعدها نحو (لولا عليٌّ لأكرمتُك) كما يقول الكوفيون. وقال البصريون: مرفوع بالابتداء.
٢. اللام الأولى في (لعلّ) أصلية عند الكوفيين وقال البصريون: زائدة.
٣. يجوز للضرورة ترك صرف المنصرف عند الكوفيين وقال البصريون: لا يجوز.
٤. الياء والكاف في (لولاى و لولاك) في موضع رفع عند الكوفيين وقال البصريون : بل في موضع خفض.
٥. الاسم المبهم نحو (هذا) أعرف من العَلم عند الكوفيين وقال البصريون: العلم أعرف.

[٢٧]عاصم بهجت وأصحابه، ص ١٩-٢٠

٦. لا يجوز تقديم خبر (ليس) عليها عند الكوفيين وقال البصريون : يجوز .
٧. فعل الأمر مقتَطَعٌ من المضارع المجزوم بلام الأمر وجزء منه عند الكوفيين، وقال البصريون : الأمر قسم برأسه.
٨. إضافة النيّف إلى العشرة أجازه الكوفيون، فقالوا : (خمسة عشْرٍ) ومنعه البصريون .
٩. العطف على الضمير المخفوض يجيزه الكوفيون، وقال البصريون : ممنوع .
١٠. تقديم معمول اسم الفعل عليه يجيزه الكوفيون ويمنعه البصريون .٢٨
١١. يري البصريون أن الظرف إذا تقدم على الاسم ارتفع الاسم بالابتداء، ويرى الكوفيون أن الاسم يرتفع بالظرف، ووافقهم المبرد والأخفش في أحد قوليه. ٢٩
١٢. الاختلاف في أصل اشتقاق الإسم ذهب الكوفيون إلى أن الأسم مشتق من الوسم وهو العلامة وذهب البصريون إلى أنه مشتق من السمو وهو العلو.
١٣. إعراب الأسماء الستة، ذهب الكوفيون إلى أن الأسماء الستة المعتلة وهي أبوك وأخوك وحموك وهنوك وفوك وذو مال معربة من مكانين وذهب البصريون إلى أنها معربة من مكان واحد والواو والألف والياء هي حروف الإعراب وإليه ذهب أبو الحسن الأخفش في أحد القولين.
١٤. هل يجوز جمع العلم المؤنث بالتاء جمع المذكر السالم، ذهب الكوفيون إلى أن الإسم الذي آخره تاء التأنيث إذا سميت به رجلا يجوز أن يجمع بالواو والنون وذلك نحو طلحة وطلحون وإليه ذهب أبو الحسن ابن كيسان إلا أنه يفتح اللام فيقول الطلحون بالفتح كما قالوا أرضون حملا على أرضات، وذهب البصريون إلى أن ذلك لا يجوز.
١٥. القول في نعم وبئس أفعلان هما أم اسمان؟، ذهب الكوفيون إلى أن نعم وبئس اسمان مبتدآن، وذهب البصريون إلى أنهما فعلان ماضيان لا يتصرفان .
١٦. في تقديم خبر ما زال وأخواتها عليهن، ذهب الكوفيون إلى أنه يجوز تقديم خبر ما زال عليها وما كان في معناها من أخواتها، وذهب البصريون إلى أنه لا يجوز ذلك .

[٢٨] المصدر نفسه ، ص ٢٠
[٢٩] السامري ، ص ٦٢

١٧. القول في أصل الاشتقاق الفعل هو أو المصدر، ذهب الكوفيون إلى أن المصدر مشتق من الفعل وفرع عليه نحو ضرب ضربا وقام قياما وذهب البصريون إلى أن الفعل مشتق من المصدر وفرع عليه.

١٨. مسألة هل يجوز تقديم حرف الاستثناء في أول الكلام؟ ذهب الكوفيون إلى أنه يجوز تقديم حرف الاستثناء في أول الكلام نحو قولك إلا طعامك ما أكل زيد نص عليه الكسائي وإليه ذهب أبو إسحاق الزجاج في بعض المواضع وذهب البصريون إلى أنه لا يجوز ذلك.

١٩. القول في نداء الاسم المحلى بأل، ذهب الكوفيون إلى أنه يجوز نداء ما فيه الألف واللام نحو يا الرجل ويا الغلام وذهب البصريون إلى أنه لا يجوز.

٢٠. القول في الميم في اللّٰهُمَّ أعوض من حرف النداء أم لاذهب الكوفيون إلى أن الميم المشددة في اللّٰهُمَّ ليست عوضا من يا التي للتنبيه في النداء وذهب البصريون إلى أنها عوض من يا التي للتنبيه في النداء والهاء مبنية على الضم لأنه نداء

٢١. مسألة اسم لا المفرد النكرة معرب أو مبني ؟، ذهب الكوفيون إلى أن الاسم المفرد النكرة المنفي بلا معرب منصوب بها نحو لا رجل في الدار وذهب البصريون إلى أنه مبني على الفتح.

٢٢. مسألة هل تقع من لابتداء الغاية في الزمان ؟، ذهب الكوفيون إلى أن من يجوز استعمالها في الزمان والمكان وذهب البصريون إلى أنه لا يجوز استعمالها في الزمان

٢٣. مسألة واو ربّ هل هي التي تعمل الجر؟ ذهب الكوفيون إلى أن واورب تعمل في النكرة الخفض بنفسها وإليه ذهب أبو العباس المبرد من البصريين وذهب البصريون إلى أن واو رب لا تعمل وإنما العمل لرب مقدرة.

٢٤. مسألة القول في إعراب الاسم الواقع بعد مذ ومنذ ؟، ذهب الكوفيون إلى أن مذ ومنذ إذا ارتفع الاسم بعدهما ارتفع بتقدير فعل محذوف وذهب أبو زكرياء يحي بن زياد الفراء إلى أنه يرتفع بتقدير مبتدأ محذوف وذهب البصريون إلى أنهما يكونان اسمين مبتدأين ويرتفع ما بعدهما لأنه خبر عنهما ويكونان حرفين جارين فيكون ما بعدهما مجرورا بهما.

٢٥. مسألة هل يعمل حرف القسم محذوفا بغير عوض؟ ذهب الكوفيون إلى أنه يجوز الخفض في القسم بإضمار حرف الخفض من غير عوض وذهب البصريون إلى أنه لا يجوز ذلك إلا بعوض نحو ألف الاستفهام نحو قولك للرجل آالله ما فعلت كذا أو هاء التنبيه نحوها الله. [٣٠]

الخلاصة

مما سبق بيانه يمكن تلخيصه في النقط التالية :

١. إن العرب في جاهليتهم كانوا فصحاء اللهجة، لأنهم لم يختلطوا بغيرهم من الأجانب إلا لمما.
٢. قد بدأ ظهور اللحن في الكلام منذ زمان النبي صلى الله عليه وسلّم ثم في عهد الخلافة الرشيدة وأخذت تنتشر عندما انتشر الإسلام إلى البلاد الواسعة على وجه الأرض واتصال العرب بالناس (العجم) واختلاطهم بهؤلاء الأعاجم في سائر الأمصار المفتوحة.
٣. نشوء ظاهرات اللحن وكثرتها دفعت إلى أمس الحاجة في حفاظ اللغة العربية على أصالتها وفصاحتها، فوضع أبو الأسود الدؤلي قواعد بدائية في النحو بتوجيه أو أمر من الخليفة علي بن أبي طالب ض (في رواية)
٤. يأتي بعد أبي الأسود الدؤلي النحويون المشهورون الذين انقسموا وانتموا إلى مدارس ومنها مدرستا البصرة والكوفة، ولكل مدرسة خصائصها وميزاتها التي تفرق بينها وبين الأخرى.
٥. الخلاف الواقع بين هاتين المدرستين كبير وشديد وفي مسائل كثيرة، حيث أدى إلى محاولة بعض العلماء لجمع هذه الخلافات النحوية في كتاب مستقل، مثل أبو البقاء العكبري، وأبو البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري النحوي.
٦. السيمة المميزة بين هذين المذهبين باختصار شديد " أن مذهب البصريين أوثق وأن مذهب الكوفيين أيسر وأوسع ". هذا والله أعلم بالصواب

[٣٠] محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين (كتاب إلكتوني من الموقع .www.al-mostafa.com : ص ز١ وما بعده

والمراجع

البيطار، عاصم بهجت وغيره ، شرح ابن عقيل لألفية بن مالك ،(الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤٠٨ه)

خالصين، نشأة النحو العربي، في دورية اللغة والفن، (السنة الواحدة والثلاثين، العدد الأول ، فبراير ٢٠٠٣)

خضر موسى محمد محمود، النحو والنحاة المدارس والخصائص، (بيروت : عالم الكتب، ٢٠٠٣)

د. محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله السبيهين. الشيخ خالد بن عبد الله الأزهري النحوي ومكانة مقدمته الأزهرية بين متون النحو (بحث في تاريخ النحو). مجلة العلوم العربية, ٢٠٢٠, ٩.

السامرائي، إبراهيم ، المدارس النحوية سطورة وواقع، (عمان: دار الفكر للنشر والتوزيع: ١٩٨٧)

السنجرجى، مصطفى عبد العزيز، المذاهب النحوية في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، (جدة: مكتبة الفيصلية، دون سنة)

شوقي ضيف، المدارس النحوية، (القاهرة : دار المعارف، ١٩٦٩)

صلاح رؤاي، النحو العربي: نشأته تطوره مدارسه ورجاله، (القاهرة : دار غريب، بدون سنة)

الفضلي، عبد الهادي ، مراكز الدراسات النحوية، (الزرقاء ، الأردن : مكتبة المنار، ١٩٨٦)

محمد المختار ولد اباه، الدكتور. تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب. (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٨.)

محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين (كتاب إلكتوني من الموقع: www.al-mostafa.com

محمد عطية; محمد علي. الحلقة المقطوعة في تاريخ النحو العربي. ٢٠١٩.

هند هند. علم النحو تاريخ النشأة و أشهر النحاة. Prosiding Konferensi Nasional Bahasa Arab, 2017, 3.3: 355-364.

Elhany, Hemlan. مذاهب اللغويين في علم النحو (مذهب الكوفة وخصائصه). An-Nabighoh, 2017, 14.1: 96-105.

م. كواكب محمود حسين. من مسائل الخلاف النحوي بين البصريين والكوفيين في شرح ابن عقيل. journal of the college of basic education, 2015, 20.85/انساني.